Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

الترجمة المرجعية المعرفية والمنهجية لنظرية التلقي

د. بصافي رشيدة
جامعة وهران- الجزائر
rachida.bessafi@yahoo.com

Abstract: *The most prominent feature of the concept of reception in cognitive reality and literature is that it falls into a kind of conflict between existentialism and its philosophical and logical directions and conceptions. This led to the occurrence of ideological political conflicts in German thought with the Marxist system; which opposed the reception theory. On the other hand, we realized that the theory of reception gives great attention to attributing complete freedom to the individual in order to live his existential and cognitive reality; a fact that made the theory of reception a revolution against this system, which tightened its grip on the reader, making him directed by this compulsion for a long time in Germany. On the basis of these assumptions, the theory of reception built its critical and cognitive principles on the fact that the reality of the text is just an image without dimensions. Perhaps what prompted this kind of study and the cognitive vision adopted by the reception theory in its traetment of the cognitive reality, namely the literary text, its great interest in the merit of reception and the principle of perception itself. These principles, which became later the main pillar in the theory of reception, are perhaps the most important ones: the freedom of the reader, the making of meaning or the concept through participation, and finally the essential purpose of aesthetic pleasure.*
Keywords: *Freedom of the reader, theory of reception, meaning-making, Marxism, aesthetic pleasure.*

ملخص: إن أبرز ما امتاز به مفهوم التلقي في الواقع المعرفي والأدب وقوعه في نوع من التضارب بين الوجودية واتجاهها الفلسفي والمنطقي؛ الأمر لذي أدى إلى حدوث صراعات سياسية فكرية شهدها الفكر الألماني مع النظام الماركسي؛ التي عارضت نظرية التلقي. ومن ناحية أخرى فإننا نجد نظرية التلقي تعطي الاهتمام البالغ إلى إعطاء الحرية الكاملة للفرد حتى يعيش واقعه الوجودي والمعرفي؛ الشيء الذي جعل من نظرية التلقي أن تكون بمثابة حرب مناوئة لهذا النظام الذي أحكم قبضته على القارئ فجعله موجها بهذه الجبرية فترة طويلة في ألمانيا. انطلاقا مما سبق بنت نظرية التلقي تصورها النقدي المعرفي على أنّ واقع النص مجرد صورة لا أبعاد لها. ولعل ما حدا بهذا النوع من الدراسة والرؤية المعرفية التي اعتمدتها نظرية التلقي في تعاملها مع الواقع المعرفي وبالخصوص النص الأدبي، اهتمامها البالغ بميزة الاستقبال ومبدأ الإدراك؛ هذه المبادئ التي أضحت فيما بعد الركيزة الأساسية في نظرية التلقي، لعل من أهمها أثرا: حرية القارئ، صنع المعنى أو المفهوم عن طريق المشاركة، وأخيرا المقصد الجوهري من المتعة الجمالية .
الكلمات المفتاحية: حرية القارئ، نظرية لتلقي، صنع المعنى، الماركسية، المتعة الجمالية.

الحديث عن مفهوم التلقي من منظور ما يمليه الدرس الترجمي هو حديث عن ذلك الأفق الغربي الذي نشأت فيه هذه النظرية بمجالاتها المعرفية والفلسفية التي جعلت من مفهوم التلقي تهن كبه الدراسات النقدية والأدبية بل أبعد من ذلك حتى الترجمية وفق ما يحقق بعدا

تواصليا داخل الحقل الواحد أي نظرية التلقي، وخارجه مما له علاقة بالفكر والمذهب وغيره مما هو معروف ومتداول لدى أهل الاختصاص.

ولعل أغلى ميزة امتاز بها مفهوم التلقي في تعامله مع الأدب والواقع المعرفي على اختلاف مجالاته هو وقوعه في نوع من التضارب مع مفهوم الماركسية وكمجالاتها الأدبية أو بعبارة أدق بين الوجودية واتجاهها الفلسفي والمنطقي مما نتج عن ذلك وقوع صراعات سياسية فكرية شهدها الفكر الألماني مع النظام الماركسي؛ هذه الأخيرة كانت من أشد المناوئين والمعارضين لنظرية التلقي سواء من حيث الطرح الفلسفي أم الأدبي[1]

غير أنّه ما يلفت التنبه في هذا المجال القائم على بعد الماركسية عن الواقع الأدبي وابتعاد القارئ أو المتلقي من واقع عالم النص، أنّنا نجد نظرية التلقي راحت تعطي الاهتمام البالغ إلى إعطاء الحرية الكاملة للفرد حتى يعيش واقعه الوجودي والمعرفي وهو دليل على عدم إيمان أصحاب نظرية التلقي بمبدأ القوة والجبروت المسلك من قبل النظام الماركسي؛ الشيء الذي جعل من نظرية التلقي أن تكون بمتابة"...حرب مناوئة لهذا النظام الذي أحكم قبضته على القارئ فجعله موجها بهذه الجبرية فترة طويلة في بلاد ألمانيا"[2] .

من هذا المنطلق بنت نظرية التلقي تصورها النقدي المعرفي على أنّ واقع النص لا ينبغي أن يتعامل معه المتلقين على أساس أنّه مجرد صورة لا تحمل بعدا معرفيا وفلسفيا وغيرهما، ولكن النص له لغته التي عن طريقها يستطيع القارئ المتلقي أن يغوص في تلك الصيغ التعبيرية القائمة على أبعاد مجازية ورموز تحيل إلى حقائق تتماشى وعالم الإنسان في وجوده الذي يحياه[3].

إنّها النظرية التي لا تهمل لا القارئ كوجود كينوني ولا النص أو لغة النص التي في ظلالها يستطيع القارئ أن يغوص في مكامن عالم النص بما يحويه من حقائق تختلف باختلاف المقامات والأحوال.

---

[1] ينظر محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996، ص:16 وما بعدها

[2] المرجع نفسه. ص: 17 وما بعدها

[3] ينظر بالتفصيل إلى روبرت سي هولوب: نظرية الاستقبال رؤية نقدية، ترجمة: رعد عبد الجليل، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1992، ص ص: 46، 47.

ولعل ما حدا بهذا النوع من الدراسة والرؤية المعرفية التي اعتمدتها نظرية التلقي في تعاملها مع الواقع المعرفي وبالخصوص النص الأدبي، أنّها راحت تعطي الاهتمام البالغ إلى ميزة الاستقبال لا النتاج الأدبي، وإلى مبدأ الإدراك لا إلى مبدأ الخلق؛ الشيء الذي جعل من مفهوم التلقي يركز على مبادئ أساسية أضحت فيما بعد تعد الركيزة الأساسية في نظرية التلقي، لعل من أهمها أثرا: حرية القارئ، صنع المعنى أو المفهوم عن طريق المشاركة، وأخيرا المقصد الجوهري من المتعة الجمالية[4].

حرية القارئ

قد يظن بعض ممن ليسن لهم دراية ببعد مفهوم التلقي أنّ المقصود من كلمة الحرية الملازمة للقارئ هي تلك الحرية غير المضبوطة وغير المقننة التي تجعل لربّما من القارئ يتعامل مع النص وفق رغباته أو تصوراته غير المنضبطة، مثلما هو هي الخال لدى أهل البنيوية الذين لا

يتجاوزون حدود السطح عند تعاملهم مع واقع النص؛ الأمر الذي جعل من أهل الاختصاص في نظرية التلقي أن يعطوا للقارئ شخصيته الحقيقية التي تليق به وهو يتعامل مع أبعاد النص فيكون القارئ حينها حرا لا ينصاع لما يمليه النص من سلطة أبوية تكفي القارئ المتلقي أن يفتق النص بما يحويه من معان وأبعاد؛ هذا الأخير يؤهل القارئ لا محالة لأن يتجاوز ذلك الالتزام الإيديولوجي القائم عند كل قارئ ليجعل ضابط القراءة يتماشى وما يقتضيه مفهوم التلقي من حيث الحكم والوظيفة[5].

على هذه الشاكلة غدا تصور نظرية التلقي يهتم بواقع المتلقي ليس تبعا بما تمليه سلطة النص من أحكام تختلف باختلاف السياقات والأوضاع من سياسية أو فكرية أو عقائدية، ولكن التعامل يكون وفق ما يؤمن به المتلقي الذي يسير وفق شخصية حرة لا تنصاع إلى قيود فرضها الاتجاه الماركسي مما يجعل من عملية الاستقبال لا تفي بالغرض المقصود، بعبارة أدق على حد تعبير هانري أرفون"...إنّه لمن الصواب بمكان ألا يجب الحكم على نتاج فني أو شجبه أو قبوله تبعا لمبادئ الماركسية؛ فعلينا أن نحكم على نتاج الإبداع الفني استنادا إلى قوانينه

[4] ينظر في هذا الصدد إلى: هنري أرقون: الجمالية الماركسية. ترجمة: جهاد نعمان، بيروت، لبنان، 1975، ص:21 وما بعدها وكذلك نظرية الاستقبال المرجع السابق. ص:117

[5] ينظر نظرية الاستقبال المرجع السابق.

الخاصة. إنّ الازدواجية الأساسية في الجمالية الماركسية التي تبدو أحيانا كمذهب مجبر تؤثر على تطبيقها في مختلف حقول العالم الثقافي"[6]

إنّها حرية القارئ المتلقي الذي تجمعت فيه صفة القارئ الحر الذي لا يؤمن بمبدأ القيود وإنّما بمبدأ الانفتاح النصي الذي يجعله بحق يتجاوز كل القضايا التقليدية التي من شأنها أن تجعل القارئ لا يتمتع بحريته لا الفردية ولا الوجودية في تعامله مع واقع النص.

صنع المعنى أو المفهوم عن طريق المشاركة:

لعل التصور الذي أومأنا إليه سالفا والمتعلق بالحرية التي يتمتع بها القارئ المتلقي هو الذي يؤهله لاحقا في أن يكون سببا في صنع المعنى أو المفهوم القائم في النص. ولكن كيف يتحقق ذلك؟ وما دمى تماشي هذا الصنع مع طبيعة نظرية التلقي؟

يذهب أخل نظرية التلقي أنّ قضية الصنع هذه إنّما تتم عن طريق فرد القارئ وجوده المعرفي والإجرائي على واقع النص؛ فعوض أن يظل القارئ لا يتجاوز حدود السطح القائم في النص عليه أن يحاول بكل ما يملك من قوة فكرية ومعرفية أن يحدث في عالم النص نوعا من التخريج أو التأويل الذي يجعله دائما في ديمومة مستمرة وغير المنقطعة النظير, ولتحقيق هذا البعد التأويلي التخريجي لدى تعامل القارئ المتلقي مع واقع النص اشترط أصحاب نظرية التلقي أن تتوفر في شخصية القارئ حقيقتين اثنتين بينهما المنظر روبرت هولوب في قوله "إنّ الإجراءات الطبيعية في استقبال نص ما هي إلا خبرة الأفق الجمالي الأول، وهي بالتأكيد سلسلة من التوفيقات الانطباعية الشخصية دون أن تحمل أوامر محدودة في إجراءات الإدراك المباشر التي يمكن أن تفهم استنادا لدوافعها البنائية وإشاراتها المنطقية، والتي يمكن أيضا وصفها باللغويات النصية"[7].

مثل هذا التصور المشار إليه في هذا النص يجعلنا نستشف الحقيقتين وهما: الإدراك المباشر لواقع النص، والما وراء النصي. في الحقيقة الأولى نجدها تتماشى وما يقتضيه ضابط التفسير التقليدي الذي همه الوحيد أن يعين القارئ المتلقي على كشف المراحل الأولى لحركية النص، لتأتي الحقيقة الثانية والقائمة على الماوراء النصي أو ما يسميه أهل التلقي بالماوراء

[6] هانري أفون: الجمالية الماركسيو. المرجع السابق. ص: 21.

[7] روبرت هولوي. المرجع السابق. ص: 77،78.

الذهني والتي تجعل من القارئ يغوص فيما لم يصرح به النص فتتحقق للنص أبعاده الانفتاحية وفق تلك الحرية التي يتمتع بها القارئ المتلقي.

البعد الوظائفي للمتعة الجمالية:

الثابت الذي لا شك فيه أنّ البعد الجمالي المتعلق بمفهوم المتعة ظل يتوسط المدونات المعرفية تارة على سبيل الرضا والقبول والاهتمام، وتارة أخرى على سبيل الرفض وعدم المبالات؛ الأمر الذي جعل من أنصار نظرية التلقي يولون اهتمامهم البالغ إلى المتعة الجمالية التي تعطي لبعد التلقي جمالية تتماشى وما يقوم عليه النص من أبعاد؛ هذا ما جعل من ياوس الألماني يبين بصريح العبارة "بأنّ المتعة الجمالية تتضمن لحظتين: الأولى تنطبق على جميع المتع حيث يحصل استلام من الذات للموضوع أي من القارئ للنص، والثانية تتضمن موقفا يؤطر به القارئ وجود الموضوع ويجعله جماليا"[8] .

لعل ما يبين وظيفة المتعة الجمالية في تعاملها مع واقع النص لدى ياوس أنّنا نجده يميز بين ثلاثة تصنيفات لمفهوم المتعة وهي: إنتاج المتعة، واستقبال المتعة، وأخيرا اتصالها. فالأولى لا تخرج عن الموضوع في علاقته بالأديب، والثانية تبتعد بالموضوع لتصل إلى الاستقبال القائم على واقع المتلقي ليستشف بعدها المتعة الجمالية الواقعة في تلك التراكيب اللغوية مما يؤهل من القارئ أن تتحقق لديه وظيفة لغوية ونقدية، لتأتي في الأخير المتعة الاتصالية التي يراها ياوس تقوم على مبدأ التبني الذي يؤمن به القارئ المتلقي مما يجعل من الموضوع تحدوه متعة جمالية[9].

على هذا الأساس راح مفهوم التلقي يأخذ بعده الفلسفي والنقدي لدى أهل الاختصاص وعلى رأسهم ياوس الألماني الذي حاول بالقدر الكافي أن يجعل من التلقي حقلا معرفيا لا يستعان به فسحي في قالب نظري بـ: نظرية التلقي. ولكن لسائل أن يسأل كيف تم الإطار التأسيسي والتأصيل لمفهوم التلقي؟ وما هي السياقات التي يهتم بها التلقي في الدراسات النقدية والفلسفية؟ وهل هناك فرق بين التلقي بين المدرسة الألمانية والمدرسة الأمريكية؟

[8] نظرية الاستقبال رؤية نقدية. المرجع السابق. ص:92.

[9] ينظر المرجع نفسه. من الصفحة نفسها.

التلقي(Reception) وإشكالية التحديد

عند عودتنا إلى تحديد مفهوم التلقي من منظور عربي وجدنا بأنّ المكافئ الترجمي راح يتوسط تارة على جهة التلقي وتارة أخرى على جهة الاستقبال؛ في الوقت الذي نجد فيه المدونة العربية وعلى رأسها لسان العرب يشير إلى معنى الاستقبال لا غير "فلان يتلقى فلانا أي يستقبله"[10].

ويذهب محمود عباس عبد الواحد إلى أنّ المصطلح **Reception** يقتضي من حيث المعنى تلقيا يختلف على حسب الإطلاقات؛ من متلق أو متلقية تستقبل القادمين لربّما إلى مكتب أو مؤسسة معينة؛ فغالبية الإطلاقات في شأن التلقي لا تخرج عن معنى الاستقبال[11].

غير أنّ الباحث عز الدين إسماعيل يفضل استعمال فعل التلقي على فعل الاستقبال على أساس أنّ التلقي هو الإطلاق المناسب لعالم النصوص وبخاصة الأدبية على أن يكون الإطلاق الثاني يتماشى والاستعمالات المتعددة والمتنوعة تماما ما هو موجود في اللغة الإنجليزية[12]. على هذا السبيل راح أهل الدراسات في المجال النقدي المتعلق بنظرية التلقي يميزن من حيث النشأة والتأسيس بين نظرية الاستقبال لدى المدرسة الأمريكية ونظرية التلقي لدى الألمان.

نظرية الاستقبال من المنظور الأمريكي:

لقد نشأت نظرية الاستقبال في أحضان المدرسة الأمريكية في المجال النقدي الحديث الذي يعرف لدى أخل الاختصاص بـ: النقد الأنجلو/أمريكي الذين من أهمهم أثرا في هذا النوع من التأسيس: نورمان هولاند، وديفيد بليش، وما يكل ريفاتير وغيرهم كثير مما هو مدون في المدونة التقدية.

أما فيما يخص هذه النماذج من النقاد الذين يرجع إليهم الفضل في تأسيس مفهوم نظرية الاستقبال فأنّ كل واحد منهم قد امتاز بنظرية؛ فالناقد نور ماند هولاند امتاز بنظريته الموسومة بـ: نظرية هوية النص، والناقد ديفد بليش امتاز بنظريته الموسومة بـ: نظرية الأثر

[10] ينظر مادة لقا، لسان العرب، ابن منظور دار صادر، بيروت، لبناند 1968.

[11] ينظر قراءة النص وجماليات التلقي. المرجع السابق. ص/13.

[12] ينظر بالتفصيل إلى روبرث هولوب: نظرية التلقي، ترجمة: عز الدين إسماعيل. المركز الثقافي العربي، جدة، المملكة العربية السعودية، 1995، ص: 31..

النفسي في الاستقبال، على أن يكون الناقد مايكل ريفاتير امتاز بنظريته الموسومة بـ: نظرية دور العلاقات في عملية الاستقبال[13].

نظرية التلقي من منظور الفعل الألماني

لعل من أهم الرواد الألمان الذي لهم السبق في تأسيس وتأصيل نظرية التلقي إيزر في ما أسماه بـ: النظرية النصية وعملية التلقي، والناقد هانز روبرت ياوس في ما أسماه بـ: جمالية التلقي، والناقد المعروف ستانيلي في ما أسماه بـ: الأسلوبية التأثيرية والتواصل في عملية التلقي[14].

المعروف لدى أهل الاختصاص أنّ كلا من المدرستين الأمريكية والألمانية على الرغم من اختلافهما في الإطلاق: الاستقبال والتلقي، إلا أنّهما قد استطاعا إلى حد بعيد أن تعطي للقارئ كثيرا من الأبعاد المعرفية المتعلقة بخصوصية الوقائع النصية، مما جعل من نقاد مدرسة ييل الأمريكية تتبنى ديناميكية الطرح النقدي لمثل هذه النظريات وهي تحاول بالقدر الكافي توظيف مجموعة هائلة من المفاهيم التي تصب في لب مفهوم التلقي أو الاستقبال من بينها"...نية القراءة، وسوء القراءة، والتلقي السلبي، وتهدد أوجه الاستقبال، ولا محدودية المعنى أو الأحرى الانفتاح المطلق للنص"[15].

ما يمكن استنتاجه من خلال هذا التطواف الوجيز المتعلق بالبعد المعرفي والفلسفي لنظرية التلقي أنّها تقون أساسا على إطار معرفي مفاده هو الإيمان بانفتاح النص المؤدي إلى تحقيق مفهوم مهم وهو التأويل؛ هذا الأخير الذي يقوم أساسا بدور فعّال في استخلاص صورة المعنى المتخيّل عبر سبر مكامن النص واستكناه أبعاده الدلالية والغوص في المعاني الخفية وذلك عبر ملء الفراغات للحصول على مقصود النص وتأويله انطلاقا من تجربة القارئ الخيالية والواقعية، ويجعل من ثمة التأويل من واقع القراءة فعلا حدثيا نسبيا لا يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة أو الوحيدة المتعالية عن واقع كل من الزمان والمكان، إنّما هو فعل حركي يتماشى وواقع المتلقي الذي يحاول بكل ما أوتي أن يفتق أبعاد النص الداخلية والخارجية.

---

[13] ينظر في هذا المجال بالتفصيل إلى مناهج ما بعد النصية، نحو معرفة الآخر، محمد سالم سعد الله، رابطة أدباء الشام.www.oudabasham.com

[14] ينظر المرجع نفسه.

[15] ينظر الموقع نفسه.

References

[1] Maḥmūd ʻAbbās ʻAbd al-Wāḥid : qirāʾah al-naṣṣ wa-jamālīyāt al-talaqqī bayna al-madhāhib al-Gharbīyah al-ḥadīthah wtrāthnā al-naqdī dirāsah muqāranah. Dār al-Fikr al-ʻArabī, al-Qāhirah, Miṣr, 1996.
[2] Maḥmūd ʻAbbās ʻAbd al-Wāḥid : qirāʾah al-naṣṣ wa-jamālīyāt al-talaqqī bayna al-madhāhib al-Gharbīyah al-ḥadīthah wtrāthnā al-naqdī dirāsah muqāranah. Dār al-Fikr al-ʻArabī, al-Qāhirah, Miṣr, 1996.
[3] Robert Sī hwlwb : Naẓarīyat alāstqbāl ruʾyah naqdīyah, tarjamat : Raʻd ʻAbd al-Jalīl, Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, al-Lādhiqīyah, Sūriyā, 1992.
[4] Hinrī arqwn : al-Jamālīyah al-Mārkisīyah. Tarjamat : Jihād Nuʻmān, Bayrūt, Lubnān, 1975.
[5] Ibn manẓūr : Lisān al-ʻArab, Dār Ṣādir, Bayrūt, lbnān 1968.
[6] Rwbrth hwlwb : Naẓarīyat al-talaqqī, tarjamat : ʻIzz al-Dīn Ismāʻīl. Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Jiddah, al-Mamlakah al-ʻArabīyah al-Saʻūdīyah, 1995.
[7] Muḥammad Sālim Saʻd allkh : Manāhij mā baʻda al-naṣṣīyah, Naḥwa maʻrifat al-ākhar, Rābiṭat Udabāʾ al-Shām. www.oudabasham.com